1- أسد الصحراء الشهيد عمر المختار (1858-1931).

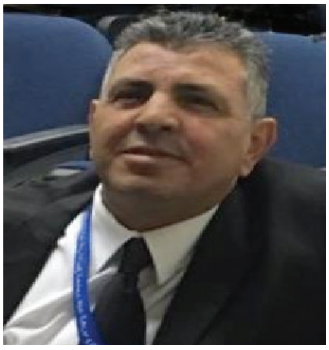

بقلم الأستاذ الدكتور لبيب أحمد بُصول*
أستاذ مشارك في جامعة خليفة الإمارات العربية،
وباحث في مجال الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية

المقدمة:

يعتبر الشهيد عمر المختار محمد بن فرح المنيف (1858-1931) الملقب بأسد الصحراء، رمزا من رموز الرجال الأفذاذ في التاريخ الحديث في أفريقيا وآسيا والعالم العربي. وقد عرف بين الإيطاليين الاستعماريين باسم المطري من منيفة. كان زعيم المقاومة الوطنية في برقة حاليا شرق ليبيا تحت حكم السنوسيين، ضد غزو الاستعمار الإيطالي لليبيا. تلقى تعليمه المبكر في المسجد المحلي قبل أن يواصل دراسته لمدة ثماني سنوات في جامعة السنوسي في جاغبوب، ثم ذاع صيته كمحفظ للقرآن وإمام مما زاد من شعبيته في المنطقة، وانضم إلى الطريقة السنوسية التي كانت تعتبر من طرائق الأشراف. شهد له جميع مشايخه بالدراية، والفطنة، والنباهة، والحزم، والصبر والاستقامة.[1] وأصبح على علم جيد بالبنية الاجتماعية لمجتمعه، حيث تم اختياره لتسوية النزاعات القبلية.[2]

لقد تم تعيين عمر المختار كأستاذ من قبل أحمد شريف السنوسي في المدارس السنوسية. بعد وفاة والده، عاش وأخوه محمد المختار مع والدته عائشة بنت محارب حيث قامت بتعليمهم التربية الإسلامية. تحول من مدرس إلى قائد مقاوم، وأصبح شخصية بارزة في حركة السنوسي، إذ يعتبر البطل الوطني لليبيا ورمزًا للمقاومة في العالمين العربي والإسلامي. ابتداءً من عام 1911، نظم، ولقرابة عشرين عامًا، حركة المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي، المقاومة التي قادها الشهيد عمر المختار وأثرت تأثيرا عميقا في الاستعمار، مما أدى إلى محاولات عديدة من قبل رجال الاستعمار للقبض عليه. من بعدها تمكنت القوات المسلحة الإيطالية من إلقاء القبض عليه مع بضعة مقاومين لا يتعدون الآلاف مقابل جيش استعماري تنظيمي من عشرين ألف جندي، مع المعدات والطائرات والأسلحة المتطورة آنذاك.... تم القبض على عمر المختار بالقرب من سولونتا وشنقه عام 1931.

من المعلوم تاريخيا أن الاستعمار اعتاد في منهجيته أن يقلل من شأن أي إنسان وطني يؤمن بحرية

(1)* أستاذ جامعي، فلسطين. محمد الطيب بن إدريس الأشهب (1958). عمر المختار القاهرة: مكتبة القاهرة, ص. 26.
(2) علي محمد الصَّلاَّبي (2011). الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. صيدا: المكتبة العصرية, ص. 7..

شعبه ووطنه. هذا ما يعلمنا التاريخ، وأيضا يقوم بنفي وسجن وتعذيب كل شخصية تحاول مقاومة وكشف حقيقة المستعمر الشرس الذي لا تهمه سوى مصلحته فقط. هكذا كان الاستعمار الفرنسي قي العالم العربي، والاستعمار الإنجليزي وكذلك الإيطالي، ذلك الاستعمار الذي تعاون مع الصهاينة لاحتلال فلسطين. رغم كل المحاولات والتكتيكات والحيل السياسة التي مارسها الاستعمار بكامل قواه وما زال بطرق مختلفة.... هناك رجال صادقون توفرت لديهم دراية ورؤية فكشفوا حقيقة أهداف ومصالح الاستعمار من أمثال عمر المختار، أنطوان سعادة، عبد القادر الحسيني، وغيرهم.

لماذا نسلط الضوء على هذه الشخصية التي أصبحت جزءًا من الثقافة العربية خلال فترة النضال ضد الاستعمار الإيطالي والاستعمار الفرنسي والبريطاني الدخيلين على دول العالم العربي وشمال إفريقيا. تجاوزت شخصية المختار التاريخية الحدود الليبية وأصبح الزعيم القيرواني أداة مفيدة ليس فقط في تاريخ ليبيا الحديثة، بل ساهم في تشكيل أشكال مختلفة من القومية العربية خلال كفاحه ضد الاستعمار. يستقصي هذا البحث كيفية تطور بناء الاستشهاد، ويظهر أن نمط الذاكرة الجماعية لم يتقدم بشكل لا بأس فيه. علاوة على ذلك، كيف استُخدم إرث الشهيد وما يزال للتعبئة السياسية من خلال دراسة أنشطة جماعات التمرد عبر الوطنية. أو قوى عمر المختار من بدايتها الأصلية إلى الأحداث الأخيرة.

في أكتوبر 1911، خلال الحرب الإيطالية التركية، وصلت ريجيا مارينا (البحرية الملكية الإيطالية) تحت قيادة الأدميرال لويجي فارافيلي إلى شواطئ ليبيا، ثم إلى الأراضي الخاضعة للسيطرة التركية العثمانية. وطالب الأدميرال بأن تقوم الإدارة والحامية التركية بتسليم أراضيها للإيطاليين أو تتكبد مدينتا طرابلس وبنغازي دمارا فوريا. انسحب الأتراك وحلفاؤهم الليبيون إلى الريف بدلاً من الاستسلام، وقصف الإيطاليون المدن لمدة ثلاثة أيام، ثم أعلنوا أن طرابلس ملتزمة بشدة بإيطاليا. كانت هذه بداية سلسلة من المعارك بين القوات الاستعمارية الإيطالية والمعارضة الليبية المسلحة في برقة.[1]

وفي سنة 1912 اندلعت حروب البلقان حيث كانت الدولة العثمانية غير متمكنة من التصدي لهجمات دولها مما أدى إلى ضعف قوتها في شمال إفريقيا وبلاد الشام. وقد أصبحت المنطقة ضعيفة ومهيَّأة لهيمنة الاستعمار الأوربي الثلاثي؛ الفرنسي، الإنجليزي والإيطالي على دول المنطقة التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية، مما اضطر العثمانيين لعقد صلح مع إيطاليا في معاهدة لوزان.[2] أدى ذلك إلى تراجع قائد قوات العثمانيين عزيز بك المصري من موقفه وانسحاب 400 جندي من الجيش العثماني من مواجهة الجيش الإيطالي.[3] فطالب المجاهدون الجنود العثمانيين بأن يمدوهم بالسلاح إلا أنهم رفضوا وفقا لشروط معاهدة لوزان مما أدى إلى سخط القوات العربية والإفريقية من الجنود العثمانيين فاندلعت الاشتباكات بين الجنود العثمانيين والعرب المنشقين ما نتج عنه سقوط عدد من الجنود من الطرفين. وعندما تأزم الوضع أرسل عمر المختار لفض النزاع بين الطرفين. نجح بإقناع المقاتلين بأن العدو ليس العثمانيين بل هو جنود الاستعمار الإيطاليون. استمر عمر المختار بمقاومة الغزو الإيطالي بمنطقة برقة حتى وصل إليه أحمد شريف السنوسي لاستلام القيادة في درنة، ثم أصبح عمر المختار تحت قيادته وعونا له، إلا أن أحمد الشريف لم يتمكن من قيادة المواجهة ضد الإيطاليين، وترك منصب القيادة في برقة وانتقلت القيادة إلى محمد إدريس السنوسي من بعده.[4] شهدت هذه الفترة

(1) المصدر السابق، ص. 17.

(2) المصدر السابق، ود إسماعيل (1992). عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء القاهرة: مكتبه القرآن الكريم، ص. 8..

(3) طاهر أحمد الزاوي (2004). عمر المختار: الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا بيروت: دار المدار الإسلامي، ص. 59–60.

(4) المصدر السابق، ص. 60.

أعنف مراحل الصراع ضد الاستعمار الإيطالي، حيث برز فيها دور عمر المختار في منطقة درنة، إذ ألحق خسائر فادحة بالجيش الإيطالي، حسب ما جاء في كتاب عصام عبد الفتاح المعنون «عمر المختار ورجاله: سيد شهداء القرن العشرين». إن عدد القتلى من الجنود الإيطاليين بلغ 70 جنديا وأصيب نحو 400 جندي آخرين[1].

كثرة الخسائر التي تعرض لها الجيش الإيطالي في صفوفه أدت إلى تكثيف الهجمات المنتظمة ضد المقاومة الليبية، مما أدى إلى استيلاء الجيش الإيطالي على أغلب المناطق الحيوية في ليبيا ما بين العامين 1913. 1914، حيث كانت القوات الليبية تشارك في مهاجمة ثلاثة محاور استعمارية تقريبا في نفس الفترة، وكان الاستعمار البريطاني في بلد الجوار عبر الحدود المصرية بقيادة أحمد شريف السنوسي وبمساعدة عمر المختار. من الضروري الانتباه إلى نوعية المقاومة الاستراتيجية اذ من الممكن أن تصنف أنها مقاومة ضد ثلاثة محاور استعمارية تقريبا في نفس الوقت؛ في تشاد ضد الاستعمار الفرنسي، وفي مصر ضد الاستعمار البريطاني، وعلى أراضيها ضد الاستعمار الإيطالي.

ثمة عدة عوامل ساعدت القوات الإيطالية للسيطرة على مناطق حيوية في ليبيا آنذاك، ليس بينها الخطط الاستراتيجية التي يمتلكها الإيطاليون ولا عدد الجنود ومهاراتهم، ولا الأسلحة الحديثة التي بحوزتهم، إنما العامل الأساسي الأول كان قلة المدد بالمساعدات العسكرية والقحط الذي تعرضت له أغلب المناطق الليبية بين عام 1913. 1914، يليه العامل الآخر وهو أيضا استراتيجي للتقليل من شأن محور المقاومة، المحور الاستعماري البريطاني على الحدود المصرية الليبية، لصد هذه الهيمنة الاستعمارية البريطانية في المنطقة. أدى انقسام المقاومة الليبية إلى محورين؛ المحور الأول ضد الاستعمار الإيطالي على أراضيها والمحور البريطاني على حدود ليبيا مع مصر إلى ضعف المقاومة الليبية، وساعد ذلك بشكل كبير في سيطرة القوات الإيطالية على أغلب المناطق الحيوية في ليبيا. وذلك أثر تأثيرا عميقا في نفوس جنود المقاومة، إذ تمكن الاستعمار البريطاني من منع وصول الأسلحة القادمة من مصر إلى جنود المقاومة لإضعاف قوتهم إضافة إلى القحط والجوع الذي أحاط بأهالي ليبيا، وبالتالي سهل عملية الاستيلاء على المناطق الحيوية الليبية التي وقعت تحت سيطرة النفوذ الإيطالي.

الأمر الأكثر خطورة هو موافقة القيادة الليبية بقيادة إدريس السنوسي الذي كان مندوب أحمد الشريف في برقة، إذ قام بعدة مناورات سياسة تضمنت إرسال وفد بقيادة ثلاثة شخصيات من أبرزها عمر المختار، وخالد الحميري، وإبراهيم المصراتي لمقابلة نوري باشا نائب أحمد الشريف وممثل الحكومة التركية في برقة، حيث طلب منه إدريس السنوسي بعدم التعرض لجنود الإنكليز بمصر ووقف الهجمات ضدهم. وتلك المطالب أزعجت نوري باشا، وذهب بشخصه لمقابلة إدريس السنوسي برفقة عبد الرحمن عزام للتفاوض حول ما طلب منه. لكن إدريس أصر على رأيه وامتنع عن العدول عن قراره، وبنفس الوقت زار وفد إيطالي وبريطاني إدريس السنوسي في منطقة الزويتينية، حيث قاموا بمفاوضته حول السلام الذي كان يدور حول وقف المقاومة والهجوم على الانجليز في مصر والإيطاليين في برقة. وقد تمكنوا من عقد معاهدة سميت بمعاهد الزويتينية نسبة للمنطقة التي تم بها اللقاء والمفاوضات مع إدريس السنوسي. وكان من نتائج هذه المعاهدة تفكيك المقاومة الليبية بقيادة نوري باشا الذي رحل بعدها إلى مصراتة لاستئناف المقاومة وأصبحت المقاومة مشتتة في أنحاء المناطق. وبقي عمر المختار ينتظر نتائج المفاوضات في معسكر البطنان.[2]. .

(1) عصام عبد الفتاح (2009). عمر المختار ورجاله: سيد شهداء القرن العشرين، القاهرة: دار كنوز للنشر، ص. 32.

(2) طاهر أحمد الزاوي (2004). عمر المختار: الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا بيروت: دار المدار الإسلامي، ص. 63-64.

اعتقد إدريس السنوسي أنه إذا عقد معاهدة سلام مع الوفد الإيطالي والبريطاني فسوف ينقذ البلاد، لأنه كان يفتقر للرؤية الحقيقية وبعد النظر، ولم يفكر أو يشك بنوايا وأهداف المستعمرين أيا كانوا. كانت الخدع والحيل التي استندت إليها قوات الاستعمار تزيدها تمكنا في الاستيلاء على المناطق المنشودة، وكانت نتيجتها الاستياء على طرابلس التي سقطت بأيدي الإيطاليين في عام 1923. نتج عن ذلك هجرة إدريس السنوسي إلى مصر، وعودة عمر المختار إلى محور المقاومة ببرقة برفقة المقاتلين لمقاومة النفوذ الإيطالي، وفي نفس الوقت استمر عمر المختار بمناشدة الأهالي في المناطق المجاورة مثل الجبل الأخضر للانضمام الى صفوف المقاومة ومواجهة الاستعمار الإيطالي في المنطقة. انضم الى جانبه عدد كبير من أعيان المناطق القريبة للمشاركة الشعبية في الكفاح ضد الاستعمار.[1] وأصبح برفقته عدد كبير من أفراد المقاومة بلغَ نحو ألف مقاتل، واستند الى تكتيك لمقاومة جيوش الاستعمار وهو حرب العصابات أو الغارات ضد المستعمر الغاصب.[2]

طرق القتال والمقاومة:

استند القائد عمر المختار وأتباعه الى حفظ التصدي لهجمات القوة الاستعمارية عن طريق حرب العصابات التي ترتكز على هجمات سريعة النطاق جعلت من عمر المختار مدرس للقرآن من حيث المهنة، يتحول إلى قائد ماهر أيضًا في استراتيجيات وتكتيكات حرب الصحراء، وقد اعتمد خطة الهجوم والانسحاب السريع كأسلوب ناجح للمقاومة والدفاع عن الوطن المغتصب من قبل جنود الاستعمار الإيطالي. توفرت لدى هذا القائد معرفة دقيقة بالجغرافيا المحلية واستخدم هذه المعرفة للاستفادة في المعارك ضد الجنود الإيطاليين الذين لم يعتادوا على حرب الصحراء. قاد عمر المختار مرارًا وتكرارًا مجموعاته الصغيرة التي كانت تتكون كل منها مما يقرب من 300 مقاتل مسلحين بأسلحة خفيفة بنادق كانت شديدة التأثير في الهجمات الناجحة ضد الجنود الإيطاليين ومواكبهم، وبعد ذلك كانوا يتلاشون مرة أخرى في التضاريس الصحراوية. هاجم رجال عمر المختار بمهارة البؤر الاستيطانية ونصبوا كمينا للقوات وقطعوا خطوط الإمدادات والاتصالات. لقد أصيب ريجيو إسيرسيتو (الجيش الملكي الإيطالي) بالدهشة والحرج بسبب تكتيكات حرب العصابات الخاصة التي شنها عمر المختار ضد جيشه المنظم.[3]

بعد مغادرة إدريس السنوسي الى مصر، حل مكانه عمر المختار إذ أصبح القائد الذي يخطط وينفذ، وقد تمت مبايعته له، تحديدا في منطقة الجبلية بجبل الأخضر في عام 1924. قام الثوار تحت قيادته بمواجهات فر وكر ضد القوات الإيطالية وقد نجحوا في مواجهتهم للعدو. تم إلحاق خسائر فادحة ومهاجمة طرق ومواصلات جنود العدو، مما أثار قلقا كبيرا في القيادة العامة للجيش والرأي العام. مقابل هذه الخسائر وتحقيق أهداف المقاتلين بقيادة عمر المختار، أنشأ الحاكم الإيطالي إرنستو بومبيلي قوة مضادة للمقاتلين تسببت بانتكاسة شديدة لقوات حرب العصابات في أبريل 1925. ثم قام عمر المختار بتعديل تكتيكاته بسرعة وتمكن من الاعتماد على استمرار المساعدة من مصر في آذار 1927. على الرغم من احتلال Giarabub في شباط 1926 والحكم المتشدد بشكل متزايد تحت حكم Attilio Teruzzi، فاجأ عمر المختار القوات الإيطالية في الرحيبة. بين 1927. 1928، أعاد

(1) علي محمد الصَّلاَّبي (2011). الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. صيدا: المكتبة العصرية, ص. 18.
(2) هاشم يحيى الملاح (1988). «جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير»، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة العاشرة، يوليو ص. 17
(3) عصام عبد الفتاح (2009). عمر المختار ورجاله: سيد شهداء القرن العشرين, القاهرة: دار كنوز للنشر, ص. 42–39.

عمر المختار تنظيم القوات السنوسية، التي كان يتم مطاردتها باستمرار من قبل الإيطاليين.[1]

في حزيران 1930 بدأ هجوم كبير ضد قوات عمر المختار. فشل غرازياني، بالاتفاق الكامل مع بادوليو، وإميليو دي بونو (وزير المستعمرات)، وبينيتو موسوليني، في خطة إجهاض قوى المجاهدين الليبيين: سيتم نقل 100.000 من سكان جبل الأخضر إلى معسكرات الاعتقال على الساحل، وسيتم إغلاق الحدود الليبية المصرية من الساحل في جيارابوب، مما يمنع أي مساعدة أجنبية للمقاتلين ويحرمهم من الدعم من السكان الأصليين. هذه التدابير التي بدأها غراتسياني في أوائل عام 1931، أثرت سلبًا على المقاومة السنوسية. حرم المقاومون من المساعدة والتعزيزات، وتم قصفهم بالطائرات الإيطالية، ومطاردتهم على الأرض بمساعدة المخبرين والمتعاونين المحليين. استمر عمر المختار في النضال على الرغم من الصعوبات والمخاطر المتزايدة، ولكن في 11 سبتمبر 1931، تعرض لكمين بالقرب من سلونتا.[2]

كان خصم عمر المختار الأخير، الجنرال الإيطالي رودولفو غرازياني الذي قدم وصفًا للزعيم السنوسي الذي لا ينقصه الاحترام: متوسط الطول، شجاع، ذو شعر أبيض، ولحية وشارب. وُهب عمر المختار ذكاء فائقا وحيويا؛ كان على دراية بالمسائل الدينية، وكشف عن شخصية نشطة، غير أنانية ولا هوادة فيها؛ وفي النهاية، ظل متدينًا وفقيرا للغاية، على الرغم من أنه كان أحد أهم الشخصيات السنوسية. انتهى نضال عمر المختار في 11 سبتمبر 1931، عندما أصيب في معركة بالقرب من سلونتا، ثم قبض عليه الجيش الإيطالي. في 16 سبتمبر 1931، بناء على أوامر من المحكمة الإيطالية ومع آمال إيطالية في أن تخمد المقاومة الليبية معه وتنتهي، تم شنق عم المختار أمام أتباعه في معسكر سلوق للأسرى عن عمر 73 عامًا.[3]

الدروس التي من واجبنا أن نتنبه لها خلال بناء العلاقات الخارجية، أو ما يسمى بالعلاقات الدولية، هي أولا ثقافة المعرفة التامة عمن تدير العلاقات معهم، بعد النظر، اختيار الممثّلين والقائمين المشهود لهم علميا ووطنيا وقوميا بالنيابة والحوار. مراقبة الأفراد بشكل شفاف للانتباه لأي ضغوط يخضعون لها، أو أي رشوة تعرض عليهم. من دروس التاريخ الحديث عانت الأمة ممن يدعون الوطنية والقومية والإنسانية، وقد تبين في ما بعد أنهم لا يستحقون ثقة الشعب لأنهم كانوا يتاجرون بشعوبهم لتحقيق مآربهم الخاصة سواء كانت مادية أو مهنية. الثقافة التي يجب أن نتحلى بها هي الشفافية والاعتراف أو التنحي عن أي منصب تحت ظل الظروف التي لا تليق بمقام ومنزلة الوطن لا المواطنين. أحيانا غالبية القرارات تكون لها علاقة بالعاطفة. يجب تجنب هذا الوضع في عدة مواقف حساسة وهذا من مصلحة الوطن والمواطن. تلزم المشاورات قبل اتخاذ القرار أي كان، وهذا يعتمد على الثقة المتبادلة والإحساس بالمسؤولية والدفاع عن الوطن وحمايته من أي عدو كان.....

عمر المختار كان قائدا فذا تحلى بكامل الصفات الحميدة وتبنى المسؤولية وكان قائدا وجنديا في نفس المعركة، أي عندما يستشهد القائد يجب ألا نستسلم بل يحل أحد مكانه وتستمر المعركة ضد العدو. هكذا كان عمر المختار ولا يختلف على ذلك اثنان من العقلاء والنبلاء. لقد استحق لقب أسد المجاهدين إذ خلال زيارته لمصر تعرض لعدة عروض وإغراءات ليس من السهل أن ترفض. ولكنه

(1) هاشم يحيى الملاح (1988). «جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير»، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة العاشرة، يوليو. علي محمد الصَّلَّابي (2011). الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. صيدا: المكتبة العصرية, ص. 33..

(2) هاشم يحيى الملاح (1988). «جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير»، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة العاشرة، يوليو, ص. 20

(3) علي محمد الصَّلَّابي (2011). الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. صيدا: المكتبة العصرية, ص. 130–133.

رفض بعزيمة وإباء كل هذا العروض من قبل المستعمر، واستمر بالمواجهة والمقاومة الشريفة حتى نال الشهادة.

هل كان باستطاعة المقاومة النصر على العدو؟ لربما يصعب على العقل البشري تصور النصر لأن النصر حليف كل مثابر. وسبب عدم إنجاز ذلك هو عامل الخيانة والنفوس المريضة التي تحسبها معك ولكن شياطينهم طغوا. تقريبا جميع الثورات التي قامت في العالم العربي في العصر الحديث تعرضت للخيانة والغدر من قبل أحد أفرادها أو المدسوسين. هذا ليس عيب المقاومة لكن عيب من يدعون ويغامرون بالوطنية ومصلحة شعوبهم من أجل أنانيتهم ونفوسهم المريضة ومصالحهم الشخصية. ليس موضوعنا الخوض بمثل هذه الحقائق الآن ولكنها واقع لا بد من أن ينتبه له الشرفاء القائمون على حماية الوطن لأنهم مستهدفون دائما.

شخصية عمر المختار واقع حقيقي وهو مثل للمقاتل المغوار الذي، حين لم تتوفر الأسلحة الحديثة والإمكانيات، استمر في النضال من أجل الكرامة والحرية والاستقلال. هذه الصفات تليق وتناسب فقط النبلاء وليس الجبناء. رغم اعتراف العدو بصعوبة المواجهة الحقيقة للمعارك التي خاضها عمر المختار ورجاله، والتي هزت كيان العدو قيادة وجنودا، وانتقاما لهزيمتهم، قاموا بمسرحية المحكمة العسكرية ولكن الحكم عليه صدر بالإعدام شنقا قبل موعد المحكمة، وهذا كان قرارا محسوما من قبل قيادة الاستعمار وهو قرار الحكم على عمر المختار بالإعدام بغض النظر عن مستوى المحاكم. قاموا بتجهيز وترتيب مكان الأعداء من قبل لبدء المحاكمة وتم ذلك في تاريخ 16 أيلول 1931. هذا جزء من أساليب الاستعمار... علمنا التاريخ أنه ليس كل ما يلمع ذهبا. والإذلال الذي تعرض له الشعب الليبي من قبل المستعمر الظالم زاد من عزيمة الشرفاء وفضلوا الشهادة عن الاستسلام. عندما أدرك العدو الغاصب حقيقة ذلك ضاعف من هيمنته ولجأ إلى أساليب الذل والتهديد والرشاوى، ولكن ذلك لم يؤت ثماره عند عمر المختار ورجاله، لذا استمروا بالمقاومة وقهر جنود الاستعمار.

من أجل هذا الموقف النبيل والشريف، نتشرف بصف هذه العبر والدروس التي يجب أن تدرس في كل المدارس والجامعات لتذكرنا بما نحن بحاجة إليه اليوم وغدا، لأن الاستعمار وسيلة الدمار والقضاء على الثقافة وإرادة الشعوب لتحويلها إلى أداة. إذا لم تناضل وتضحّ من أجل وطنك فما قيمة الحياة لديك؟! البعض يناضل بالقلم والعلم والصناعات والأخلاق والقيم والمبادئ. كل تلك النضالات أو الأدوات مهمة إذا كانت تتمحور حول الدفاع عن كرامة الوطن والشعب. هذا هو الشهيد المثالي في العصر الحديث كما ذكر في جميع المصادر، وذلك شرف لكل من ينتمي إلى واقع المواجهة. موقف عمر المختار ودوره يجب أن يصيرا مخلدين في ثقافتنا الحالية، لأن تشويه التاريخ أصبح مهنة تجار الشعوب في العالم العربي. وقد أثر ذلك على الأجيال عبر العقود السابقة.

إن دراسة طبيعة وحقيقة تراث النضال والمقاومة ضد الاستعمار والغزو الفكري ومواجهته لا تهدف الى الرجوع إلى الماضي للتغني والتفاخر به، فهي يجب أن تكون ككل دراسة تاريخية لا تستحق العناء إن لم تقدنا إلى التفكير في الحاضر وإقامته على أسس صلبة. فالهدف المنشود من هذه الدراسات هو المعرفة الموضوعية الدقيقة بذاكرة الأُمة. فلا وجود لأمة فاقدة الذاكرة وجاهلة بتكوينها. هذا ما علمنا التاريخ، كما يعلمنا أيضاً أنه لا يمكن لتجديد أو بعث أن يقوم بدون هذه المعرفة. ولن نبالغ إن قلنا إن الأمة العربية والأمة الإسلامية هما في أمس الحاجة اليوم وغدا إلى المعرفة بثقافة وحقيقة تاريخهما، خاصة لما أصاب هذه الأمة من وهن وتشتت.[1]

(1) لبيب أحمد بُصول (2014). «تطور العلاقات الدولية في الشرق الأوسط: نظرة تاريخية،» مجلة الشؤون الاجتماعية، المجلد 35، العدد 123، خريف 2014 ص. 205-165.

ثمة قياديون وأفراد تحلوا بهذه الصفات وضحوا بأرواحهم من أجل الوطن والكرامة والحرية في هذا العصر الحديث، ومنهم عمر المختار، مختارنا جميعا في النضال والمقاومة التي لا تتوقف على أي كان، صغيرا كان أو كبيرا، امرأة أو رجلا. رغم أن عمر المختار بدأ نضاله في سن الخمسين، فذاك زاده حيوية وجرأة وجدارة وعزيمة في المقاومة التي استمرت ما يقارب العشرين عاما. ورغم الصعوبات والتحديات التي تعرض لها، فإنه لم يهزم بل انتصر وقهر العدو لذا قاموا بإعدامه. ذلك يعبّر عن غل العدو وهزيمته المعنوية أمام المقاومة الشريفة، ويعبر عن أهمية شهادة هذا القائد الجليل شيخ المجاهدين أسد الصحراء رحمة الله عليه وعلى كل من سار على دربه وتحلى بمواقفه واعتبر الدروس التي يجب أن تُدرس وتخلّد في فكر كل إنسان حر وشريف وينتمي لهذه الأمة.